التشبيهات البلاغية في "تحفة الأحوذي" في شرح الترمذي

لمحمد بن عبد الرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري الهندي

Rhetorical Similes in Tuhfat Al-Ahwadhi " in explaining Al Tirmidhi by Mohmmad Abdul Rehman Al Mubarakfoury

رقية أختر
محاضرة في قسم العلوم الإسلامية بجامعة ميرفور– كشمير الحرة
Email: ruqyyah786@gmail.com
د.عطاءالله رحيم عبدالرحيم أشرف
Drattaullahrahim@yahoo.com

Abstract
This article deals with the rhetorical similes in Tuhfat Al-Ahwadhi in Explaining Al Tirmidhi by Mohmmad Abdul Rehman Al Mubarakfoury.
The metaphor is the broadest of the chapters of the science of statement, and the ancient scholars paid attention to it in their sermons from the time of the pre-Islamic era to the present and the first person to have dealt with the study.
The analogy in his complete book is the file and he mentions: The simile came in many of the words of the Arabs even if someone said it is the most of their words, He was not removed, and Qudamah bin Jafar also used similes in his book "Criticism of the Poetry"
Al-Mubarakfuri referred to the rhetorical similes in "Tuhfat Al-Ahoudi" the hadiths that relate to describing the world and the conditions of the Hereafter. The Prophet may God's prayers and peace be upon him, relies on the received similes that suggest means of clarifying the intended meaning of understanding, such as enhancing the sensory and the moral.

المقدمة :

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوكل عليه والصّلاة والسلام على سيد الانبياء والمرسلين:

أما بعد:

هذه المقالة تدور حول التشبيهات البلاغية في (تحفة الأحوذي) بشرح جامع الترمذي للإمام محمد بن عبدالرحمن المباركفوري الهندي، وهو كتاب في شرح الحديث، وقد تناولت في هذه المقالة عن التشبيه، فهو أوسع أبواب علم البيان، وقد اهتم به العلماء القدماء في خطبهم منذ زمن الجاهلية إلى الحاضر، وأول شخص قد عنى بدراسة التشبيه في كتابه الكامل فهو المبرد

ويذكر فيه "إن التشبيه جاء فى كثير من كلام العرب حتى لو قال قائل، هو أكثر كلامهم لم يبعد". وكذلك استخدم قدامة بن جعفر رموز التشبيه في كتابه " نقد الشعر".

وكما نعلم أن التشبيه هو أسلوب أدبي رفيع في علم البلاغة، ونجد أن له أثر بالغ في الأحاديث النبوية مما يحذرنا من الأمور السيئة، ويرغبنا في أمور الخير.

والتشبيه هو فن جميل من فنون القول، فله فوائد عظيمة وبالأخص في الأحاديث النبوية ومنها: الإيضاح، والإيجاز، وإيناس للنفس، وإخراج المعاني الخفي إلى الجلي، والوضوح والجلاء. وقد أشار العلامة المباركفوري في كتابه تحفة الأحوذي إلى التشبيهات البلاغية في الأحاديث التي تتعلق بوصف الدنيا، وأحوال الإخرة، ويعتمد النبي صلى الله عليه وسلم بالتشبيهات الواردة التى ترجح إلى وسائل توضيح المعنى المقصود للإفهام كاستخدامه تشبيها حسيا أم غير حسيّ.

التعريف بصاحب الكتاب "تحفة الأحوذي"

"هو الشيخ الإمام الحافظ الحجة محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن بهادر المباركفوري" ولد في الهند قرية "مباركفور" [1]سنة ألف ومائتين وثلاث وثمانين.

نشأته:

نشأ في قرية مباركفور، وقد تربّى في حجر والده، وقرأ عليه "المختصرات".[2] وحفظ القرآن الكريم، وحصل على العلوم المتعددة من والده فقرأ الرسائل باللغات المختلفة منها: الأردية والفارسية وقرأ الكتب في الأدب والأخلاق باللغة الفارسية وغيرها.[3] وقد تتلمذ على أيادي علماء اللغة والفقه والحديث ومنهم الشيخ الكبير العلامة حسام الدين المئوي، وفيض الدين، ثم سافر العلامة المباركفوري إلى بلاد أخرى للحصول على العلوم المختلفة مثل: النحو والصرف والمنطق وقرأ هذه العلوم على العلامة "الشيخ سلامة الله الجيراج". ثم اتجه العلامة المباركفوري إلى دهلي لعلوم الحديث وأخذ الحديث عن الشيخ نذير حسين الدهلوى، والقاضي محمد عبد العزيز الجعفرى والأنصاري اليماني[4].

اشتغاله بالتدريس:

درس الشيخ الحديث والفقه والعلوم اللغوية في المدرسة الأحمدية ومدرسة دارالقرآن والسنة في كلكته، ثم ترك مجال التدريس واشتغل بالتأليف والتصنيف، وأعان الشيخ عبد الحق العظيم آبادي[5] في تكميل "عون المعبود على سنن داود"، ويُعتبر الشيخ العلامة المحقق عبد الحق من كبار محدثي الهند والذين قادوا حركة أهل السنة في الهند.

أنشأ العلامة المباركفوري المدارس الدينية الكثيرة ومنها: مدرسة دارالتعليم ببلدة مباركفور والمدرسة العربية في رامفور، ومدرسة بوندها سراج العلوم.

و"كان الشيخ المباركفورى مدرسا عظيما في الهند، له الكمال والمهارة الخاصة في معرفة أسماء الرجال، وفن الجرح، والتعديل، وطبقات المحدثين، وتخريج الأحاديث."[6]

وفاته:

توفي العلامة المباركفوري سنة 1353هـ - 1935م بسبب المرض في القلب، وأصبح كفيفا ثم رجع بصره إليه، وقد توفي في وطنه مباركفور بالهند.

اسم الكتاب: " تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي".

يُعتبر هذا الشرح من أنفع الشروح المتداولة الآن، وهو في أوَّله أجود من آخره، وجعل له مقدمة في جزأين، ومما ذكره في المقدمة، أن هناك نسخاً للبخاري عليها خطوط الآئمة والعلماء في الخزانة الجرمانية في ألمانيا، بدأ العلامة المباركفوري كتابه دون خطبة للكتاب، فبدأ شرحه بذكر مقدمة نفيسة طويلة كالتمهيد للولوج إلى الشّرح؛ حيث ذكر فيها الكثير من الفوائد والمباحث المتعلقة بكتاب الترمذي، فبدأ بـ:

- "الباب الأول: فيما يتعلق بعلم الحديث وكتبه وأهله عموماً، وفيه واحد وأربعون فصلاً:
- تكلَّم فيها عن تعريف المحدث والحافظ، وتدوين الحديث، وطبقات كتب الحديث، وأنواع الكتب المصنفة فيه، ثم تكلّم عن الكتب الستة وما يتعلق بها، ثم الكتب الصحاح وغيرها.
- وأما الباب الثاني من مقدمة الشرح، حيث ذكر فيه ترجمة الإمام الترمذي، وما يتعلّق بجامعه. وذكر نسخ الكتاب، وتصحيح الترمذي، وشروحه، ومنهج الترمذي في كتابه.
- ثم عقد فصلاً في ذكر تراجم أئمة التفسير المذكورين في جامع الترمذي.

- ثم تطرق الحديث في ذكر تراجم أئمة اللغة المشهورين فصلا كاملا.
- ثم فصلاً في ذكر ما وقع في جامع الترمذي من المكررات من الأحاديث والأبواب.
  ثم فصلاً في ذكر رواة جامع الترمذي على ترتيب حروف الهجاء.
- "ثم فصلاً في شرح بعض الألفاظ التي استعملها الشارح في الشرح أو في مقدمت".
- "ثم خاتمة المقدمة نبّه فيها على أغلاط وقعت في النسخة الأحمديّة.

طبعات الكتاب:

- طبع أولا في الهند بدهلي عام 1353هـ في أربعة مجلّدات.
- ثم أعيد تصويره ببيروت في دار الكتاب العربي 1984م في (5) مجلدات.
- ثم طبع عدة طبعات، منها:
- طبعة دار الحديث المصريّة، بتحقيق: عصا م الصبابطي في (9) مجلدات، صدرت سنة 1421هـ.
- وفي دار الكتب العلمية – دون تحقّيق سنة 1422هـ في (10) مجلدات مع مجلّد للفهارس.
- ومن أحسنها طبعة دار إحياء التراث العربي بتحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود– [7].

التشبيه المقلوب :

"**عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ, , ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ**".[8]

يقول العلامة المباركفوري هنا جاء تشبيه مقلوب لأن تشبيه (الإسلام) برأس الأمر ليشعر بأنه من سائر الأعمال بمنزلة الرأس من الجسد في احتياجه إليه، وعدم بقائه دونه.[9]

(إنه تشبيه مقلوب) بجعل المشبه به مشبها، والمشبه مشبها به لغرض المبالغة، بأن تجعل الليل مشبها، والشعر مشبها به.[10]

وفي مقام آخر: **عَنْ عَامِرِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الغَنِيمَةُ البَارِدَةُ الصَّوْمُ فِي الشِّتَاءِ.**[11]

نجد التشبيه المقلوب في هذا الحديث، حيث يذكر العلامة المباركفوري (**الْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ الصَّوْمُ فِي الشِّتَاءِ**)

نقل المباركفوري قول الإمام الطيبي عن التشبيه المقلوب في الحديث لأنه يشبه الصوم بالغنيمة الباردة في الشتاء، وفيه المبالغة، وقلب التشبيه بأنه يلحق الناقص بالكامل، فمثلا (زيد كالأسد) فإذا قلبنا وقلنا (الأسد كزيدٍ) نجعل الأصل كالفرع، والفرع كالأصل، فهنا يبلغ التشبيه إلى الدرجة القصوى في المبالغة.[12]

التشبيه البليغ :

"عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَنْطَبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ: هَذَانِ السَّمْعُ وَالبَصَرُ".[13]

التشبيه البليغ هو ما بلغ درجة القبول لحسنه، أو الطّيّب الحسن، فكلما كان وجه الشبه قليل الظهور، يحتاج في إدراكه إلى أعمال الفكر، كان ذلك أفعل في النفس: وادّعى إلى تأثرها واهتزازها، لما هو مركوز في الطبع، من أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له، والاشتياق إليه، ومُعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وموقعه في النفس أجلّ وألطف، وكانت به أضنّ وأشغف، وما أشبه هذا الضرب من المعاني، بالجوهر في الصدف، لا يبرز إلا أن تشُقّهُ عينه، وبالحبيب المتحجّب لا يُريك وجهه، حتى تستأذن وسبب هذه التسمية: أن ذكر (الطّرفين) فقط، يوهم اتحادهما، وعدم تفاضلهما، فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به، وهذه هي المبالغة في قوة التشبيه والتشبيه البليغ – هو ما حُذفت فيه أداة التشبيه، ووجه الشبه".[14]

وهنا موضع الشاهد (**هَذَانِ السَّمْعُ وَالْبَصَر**): أي نفسهما مبالغة نحو رجل عدل أو هما في المسلمين أو في الدين كالسمع والبصر فى الأعضاء، فنحذف هنا كاف التشبيه للمبالغة، ولذلك نسميها تشبيها بليغا أو هما في العزة عندي بمنزلتهما[15]

وفي هذا الحديث حذفت فيه أداة التشبيه وهي الكاف ووجه الشبه أيضا للمبالغة. وقَالَ الْقَاضِيَ العياض: جاء هنا التشبيه لشدة الحرص على استماع الحق واتباعه .[16] هذان السمع والبصر يبعده ما في رواية البيهقي عقب وبصري وعقلي.[17]

وفي الحديث الشريف، **قالَ: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي سُوَيْدٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ العَزِيزِ، يَقُولُ: زَعَمَتِ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ مُحْتَضِنٌ أَحَدَ ابْنَيْ ابْنَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّكُمْ لَتُبَخِّلُونَ وَتُجَبِّنُونَ وَتُجَهِّلُونَ، وَإِنَّكُمْ لَمِنْ رَيْحَانِ اللَّهِ".[18]**

(إِنَّكُمْ لَمِنْ رَيْحَانِ اللَّهِ)

يشير المباركفوري إلى قول البدر الدين العيني فى العمدة عن وجه التشبيه، أن الولد يشم ويقبل فكأنه من جملة الرياحين.[19]

وقال ابن اثير في النهاية في غريب الحديث يطلق معنى الريحان على الرحمة والرزق والراحة[20] وهنا المراد بالريحان الرزق كما أشار ابن التين أي هما من رزق الله رزقنيه، يقال سبحان الله وريحانة أي أسبح الله واسترزقه لأن الأولاد يشمون ويقبلون فكأنهم من جملة الريحان وقوله من الدنيا أى نصيبي من الريحان الدنيوى[21]

وفي مقام آخر، "**عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً، فَإِنَّهَا تَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَغْزَرِ مَا كَانَتْ لَوْنُهَا الزَّعْفَرَانُ وَرِيحُهَا كَالمِسْكِ.**"[22]

[23]قال المباركفوري: **(لَوْنُهَا الزَّعْفَرَانُ وَرِيحُهَا كَالْمِسْكِ)** كُلٌّ مِنْهُمَا تَشْبِيهٌ بَلِيغ ، وقال الحافظ ابن حجر أن هذه الصفة لا تختص فقط بالشهيد بل هي حاصلة لكل من جرح.[24]

وقال العلماء هنا جاءت الحكمة فيه فضيلة لمن يبذل نفسه في طاعة الله، وعلى من ظلمه وظاهر الحديث يدل على أن ليس فيه فرق بين أن يستشهد أو تبرأ جِرَاحَتُهُ.[25]

وأشار النووي إلى قتال الكفار فيدخل فيه من جرح في سبيل الله، وفي قتال البغاة وقطاع الطريق، وفي إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذا قال ابن عبد البرّ، واستشهد على ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: "**من قتل دون ماله فهو شهيد**"[26]

وفي الحديث جاء التشبيه هنا للبليغ، فحذفت فيه أداة ووجه الشبه.

التشبيه المرسل والمجمل:

"عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُعَذَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَكُونُوا فِيهَا حُمَمًا ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ فَيُخْرَجُونَ وَيُطْرَحُونَ عَلَى أَبْوَابِ الجَنَّةِ قَالَ: فَيَرُشُّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الجَنَّةِ الْمَاءَ فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الغُثَاءُ فِي حِمَالَةِ السَّيْلِ ثُمَّ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ".[27]

التشبيه المرسل ما ذكرت أداته[28]؛ كقوله تعالى:**{مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا}**[29]، وأما التشبيه المرسل في هذا الحديث فموضع الشاهد **(فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْغُثَاءُ)** بضمّ العين المعجمة بعدها مثلثة مفتوحة وبعد الألف همزة هو في الأصل كلما حمله السيل من عيدان وورق وبزور وغيرها.

(وفي حمالة السيل) ما يحمله السيل من غثاء أو طين، والمراد أن الغثاء الذي يجيء به السيل يكون فيه الجنة، فيقع في جانب الوادي فتصبح من يومها نائبة. [30] ويقول النووي المراد من التشبيه هنا جاء في سرعة النبات وحسنه وَطَرَاوَتِهِ.[31]

التشبيه المفرد والمفصل :

"عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَيْسَ عَلَى العَبْدِ نَذْرٌ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ، وَلاَعِنُ الْمُؤْمِنِ كَقَاتِلِهِ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَاتِلِهِ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عَذَّبَهُ اللَّهُ بِمَا قَتَلَ بِهِ نَفْسَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ".[32]

موضع الشاهد: **"وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَاتِلِهِ"**

نقل المباركفوري قول الإمام الطيبي بأن وجه التشبيه هنا أقوى، لأن النسبة إلى الكفر الموجب للقتل فالقذف بالكفر تَسَبُّبٌ إِلَيْهِ وَالْمُتَسَبِّبُ إِلَى الشَّيْءِ كَفَاعِلِهِ، وَالْقَذْفُ فِي الْأَصْلِ الرَّمْيُ ثُمَّ شَاعَ عُرْفًا فِي الرمي بالزنى، ثُمَّ اسْتُعِيرَ لِكُلِّ مَا يُعَابُ بِهِ الْإِنْسَانُ، وَيَحِيقُ بِهِ ضَرَرُهُ.[33]

التشبيه التمثيلى :

وفي الحديث الشريف: "**عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا وَيَقُولُونَ لَوْلاَ مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ**".[34]

والتشبيه التمثيلي هو ما كان وَجه الشبه فيه وصفاً منتزعاً من متعدد أكان حسيا أو غير حسي، كقول الشاعر:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يوافي تمام الشهر ثم يغيب

فوجهُ الشبه سرعة الفناء – انتزاعه الشاعر من أحوال القمر المتعددة إذ يبدو هلالا، فيصير بدراً، ثم ينقص حتى يدركه المحاق، ويسمى تشبيه التمثيل.

وفي مقام آخر: (**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا**)

يقول المباركفوري هنا المشبه به واحد، والمشبه جماعة فكيف صحّ التشبيه وجوابه أنه جعل الأنبياء كرجل واحد، لأنه لا يتم ما أراد من التشبيه إلا باعتبار الكل، وكذلك الدار لا تتم إلا باجتماع البنيان، ويحتمل أن يكون من التشبيه التمثيلي، وهو أن يؤخذ وصف من أوصاف المشبه ويشبه بمثله من أحوال المشبه به، فكأنه شبه الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد الناس ببيت أسّست قواعده، ورفع بنيانه، وبقى منه موضع به يتم صلاح ذلك البيت.[35]

وفي حديث شريف: "**جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ أَكَانَ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ السَّيْفِ قَالَ لَا بَلْ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مُسْتَدِيرًا**"[36]

يشير المباركفوري في تحفة الأحوذي أن التشبيه القمر والشمس للتنبيه على أنه جمع الصفتين، وتشبيه بالسيف فكان المراد به الطول واللمعان، وكذلك التشبيه بالشمس بسبب الإشراق، والتشبيه بالقمر إنما يراد به الملاحة دون غيرهما، وأشار إلى كلمة مستديرا إنما يراد به التشبيه بالصفتين معا وهما الحسن والإدارة. [37]

وفي مقام آخر: «قال النبي صلى الله عليه وسلم إِنَّ مَثَلَ أَصْحَابِي كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ؛ مَنْ أَخَذَ بِنَجْمٍ مِنْهَا اهْتَدَى»[38]

الشاهد في موضع (**مَثَلُ أَصْحَابِي كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ**)، ينقل المباركفوري قول الإمام الحافظ ابن حجر أن هنا جاءت صحة التشبيه للصحابة بالنجوم خاصة أما في الاقتداء فلا

يظهر في حديث أبي موسى فيمكن أن يتلمح ذلك من معنى الاهتداء بالنجوم، وظاهر الحديث إنما هو إشارة إلى الفتن الحادثة بعد انقراض عصر الصحابة من طمس السنن، وظهور البدع، وفشور الفجور في أقطار الأرض.[39]

تقرير حال المشبه، وتمكينه في ذهن السامع

التشبيه مرسل:

هو التشبيه الذي تذكر فيه أداة الشبه، كقول الرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ رِيحُهَا مُرٌّ وَطَعْمُهَا مُرٌّ.[40]

يقول المباركفوري عبر بالمضارع لإفادة التكرير(كمثل الأترجة) بضم الهمزة وسكون الفوقانية وضم الراء وسكون النون وبتخفيف الجيم، وفيه لغات وقال صاحب القاموس الأترج والأترجة من أحسن الثمار الشجرية عند العرب، ووجه التشبيه هنا بالأترجة لأنها أفضل ما يوجد من الثمار فى سائر البلدان، ولأسباب أخرى وهي جامعة للصفات المطلوبة، وحسن منظرها، وطيب مطعمها، ولين ملمسها.[41]

التشبيه المعقول بالمحسوس:

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ»؟ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ. قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الخَطَايَا»[42]

قال المباركفوري في موضع (**مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ**) بأنه عَكَسَ فِي التَّشْبِيهِ، حَيْثُ أَنَّ الْأَصْلَ تَشْبِيهُ الْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ مُبَالَغَةً كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (**إنما البيع مثل الربا**) وأيضا (**يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ**) أَيْ بِالصَّلَوَاتِ (**الْخَطَايَا**) أَيِ الصغائر.[43]

قال الطيبي: وجه التمثيل جاء هنا المرء يتدنس بالأقذار المحسوسة فى بدنه وثيابه ويطهره الماء الكثير فكذلك الصلوات تغسل العبد عن أقذار الذنوب حتى لا تبقى له ذنبا إلا أسقطته.[44]

التشبيه مرسل مفصل

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ كَالبَيْتِ الخَرِبِ» هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ "[45]

نجد كلمة الخرب والتي جاءت في الحديث الشريف (**شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ**) بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَكَسْرِ الرَّاءِ أَيِ الْخَرَابِ لِأَنَّ عِمَارَةَ الْقُلُوبِ بِالْإِيمَانِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَزِينَةَ الْبَاطِنِ بِالِاعْتِقَادَاتِ الْحَقَّةِ وَالتَّفَكُّرِ فِي نَعْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.

نقل المباركفوري قول الإمام الطيبي عن المراد بهذا التشبيه القلوب بالبيت الخراب، وأطلق الطيبي الجوف، والمراد به القلب إطلاقا لاسم المحل على الحال، وأحيانا يُستعمل على حقيقته في قوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) واحتيج لذكره ليتم التشبيه له بالبيت الخرب بجامع أن القرآن إذا كان فى الجوف يكون عامرا مزينا بسبب قلة ما فيه كثرته، وإذا كان خاليا من الاعتقادات الحق والتفكير الإلهية يكون كالبيت الخرب الخالي. [46]

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»:[47]

قَالَ الْمباركفوري هُوَ بَيَانٌ لِوَجْهِ التَّشْبِيهِ أَيْضًا أَيْ يَشُدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِثْلَ هَذَا الشَّدِّ[48]، ويقول الإمام النووي أن المراد بهذا التشبيه بالمؤمنين الذين يعظمون حقوق المسلمين بعضهم بعضا، ويحثون على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم، ولا مكروه، وفيه جواز التشبيه، وضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الفهم.[49]

وعنِ عَبْدِ اللهِ البَجَلِيِّ، قَالَ: (كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْر،فقال: أما إنكم سترون ربكم ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته).[50]

أشار المباركفوري إلى موضع الشاهد (**كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ**) بأنه تشبيه محسوس بالمشاهد المرئية، وكلمة (**لَا تُضَامُونَ**) بِضَمِّ التَّاءِ وَتَخْفِيفِ الْمِيمِ مِنَ الضَّيْمِ وَهُوَ الظُّلْمُ.

يقول ابن حجر معناها هنا أي لا ينالكم ضيم وظلم في رؤيته فيراه بعض دون بعض، وروى بفتح التاء وتشديد الميم من التضام بمعنى التراحم، وبالضم والتشديد من المضامة، وهي المزاحمة.[51]

ويشير ابن اثير فى كتابه (جامع الأصول) إلى أن هذا الكاف في قوله (**كما ترون**) تشبيه مرئي، وإنما هو كاف التشبيه للرؤية، وهو فعل الرّائي ومعناها ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك كرؤيتكم القمر ليلة البدر ولا تمتارون ولا ترتابون.[52]

الخاتمة:

إن التشبيهات النبوية شملت جميع أغراض التشبيه التي استخرجها المباركفوري فى تحفة الأحوذي.

بيّن المباركفوري في الأحاديث النبوية بيان وجه الشبه والحال والمقدار وتحسين المشبه وعدم تحسينه.

وذكر المباركفوري أكثر التشبيهات النبوية مرسلة مجملة. وأما التشبيهات االنبوية فهي للبيان والإيضاح فتكون بذلك أقرب للعقل والفهم.

إن صور التشبيه تلج بالمعنى إلى شعاب الروح، فتزيده وضوحا وجلاء الذهن، وتنحصر في خاطره فيجني ثمارها في عقله وبصره وجميع أمور حياته.

إن التشبيهات في الحديث النبوي جاءت من قبيل تشبيه المحسوس بالمحسوس أو المعقول بالمحسوس ما عدا تشبيه بروؤس الشياطن.

استفاد المباركفوري في "تحفة الأحوذي" من شروح الكتب الأحاديث الأخرى كفتح الباري لابن حجر، وعمدة القاري لبدرالدين العيني، ومشارق الأنوار لقاضي عياض، وشرح النووي على مسلم وجامع الأصول لابن الأثير، وكذلك النهاية فى غريب الحديث وغير ذلك، فلا شك أن المباركفوري ذا شخصية موسوعية في مجالات عديدة كاللغة والدلالة والبلاغة.

نوصي للباحثين أن يبحثوا عن الجوانب البلاغية في الأحاديث النبوية وبالأخص جانبي علم البيان والبديع.

الهوامش

[1] مباركفور (بالإنجليزية:) (Mubarakpurبالهندية: মুবারকপুর) هي مدينة من مدن الهند التابعة لأتر برديش

[2] العلامة الشريف عبد الحى فخر الدين الحسينى ، الإعلام بمن فى تاريخ الهند ، دار ابن حزم، ط1، ج3ص127

[3] الشيخ رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج5ص122

[4] خير الدين الزركلى الدمشقى ، الأعلام ، بيروت – لبنان، ط12002م ج8ص875

[5] الشيخ العالم الكبير المحدث شمس الحق بن أمير علي بن مقصود بن علي بن غلام حيدر بن هداية الله بن محمد زاهد بن نور محمد بن علاء الدين البكري الديانوي العظيم أبادي ، ولد لثلاث بقين من ذي القعدة سنة سنة 1329 . نفس المصدر 3 / 8 / 1243

[6 6]عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ج5ص166

7 "أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري" "الشيخ مشهور بن حسن سلمان" معجم شيوخ الطبري : (الدار الأثرية) ، (الأردن - دار ابن عفان، القاهرة) (الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005م) ج1ص281

[8] محمد بن عيسى الترمذى ،سنن الترمذى ، باب ما جاء حرمة الصلاة ج3ص308

المباركفورى ، تحفة الاحوذى ، باب فى حرمة الصلاة ج7ص[9]305

[10] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت ج1ص244

[11]محمد بن عيسى الترمذى ، سنن الترمذى ، باب فى الصوم ج 2ص347

[12] المباركفورى ، باب فى الصوم فى الشتاء ج3ص427

[13] محمد بن عيسى الترمذى سنن الترمذى ج4ص54

14 أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ،جواهر البلاغة في ، المكتبة العصريه – بيروت ج1ص243 [14] المعاني

[15] المباركفورى ، تحفة الاحوذى، باب فى مناقب أبى بكر الصديق رضى الله عنه ج10ص107

[16] عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث، ج2ص67

[17] علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ،فيض القدير، المكتبة التجارية الكبرى – مصر،الطبعة: الأولى، 1356 ج2ص141

[18] محمد بن عيسى الترمذى سنن الترمذى باب فى حب الولد ج3ص23

[19] المباركفورى، تحفة الأحوذى باب فى النكاح ج6ص23

[20] ابن الاثير ، النهاية فى غريب الحديث ج3ص45

[21] فتح البارى ج10ص427

[22] محمد بن عيسي الترمذى ، السنن الترمذى ج3ص237

[23] المباركفورى ، تحفة الاحوذى باب فى من يكلم فى سبيل الله ج5ص243

[24] ارشاد الساری ج 5 ص44

[25] محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك،ج3ص53

[26] النووی ، شرح النوی علی مسلم ج3ص45

[27] محمد بن عیسی الترمذی،سنن الترمذی باب منه ج4ص294

28، عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ،مكتبة الأداب ، الطبعة السابعة عشر 1426ھ ج3ص450 :

29، سورة البقرة 34

[30] المبارکفوری ، تحفة الأحوذی ، باب فی النار للنفسین ج7ص273

[31] النووی ، شرح النووی علی مسلم ج5ص67

[32] محمد بن عیسی ، سنن الترمذی ، باب فیمن رمی أخاه بکفر ج4ص319

[33] المبارکفوری، تحفة الأحوذی ، باب فیمن جاء رمی أخاه بکفر ج7ص326

[34] المبارکفوری ، تحفة الأحوذی باب فی مثل النبی صل الله علیه وسلم ج4ص444

[35] المبارکفوری ، تحفة الأحوذی باب فی مثل النبی ج8ص128

[36] محمد بن عیسی الترمذی، السنن الترمذی ج3ص45

[37] المبارکفوری ، تحفة الأحوذی ،باب ما جاء فی صفة النبی ج10ص80

[38] سنن الترمذی ، باب القول فی أصحاب رسول الله علیه وسلم ج1ص318

[39] المبارکفوری ، تحفة الأحوذی ،باب فی مناقب علی رضی الله عنه ج10ص156

[40] محمد بن عیسی ، سنن الترمذی، باب فی مثل القاري للمؤمن ج 4ص447

[4141] المبارکفوری ، تحفة الأحوذی باب فی مثل المؤمن القاری للقرأن ج8ص133

[42] محمد بن عیسی الترمذی، سنن الترمذی ج5ص151

[43] المبارکفوری ، تحفة الأحوذی باب من جاء قرأ حرفا من القرآن الکریم ج8ص186

[44] الملا علی القاری، مرقاة المفاتیح شرح مشکاة المفاتیح ج2ص507

[45] محمد بن عیسی، سنن الترمذی ج5ص177

43 النووی ، شرح النووی علی مسلم ج4ص56

[47] محمد بن عیسی الترمذی ، سنن الترمذی ج3ص459

[48] المبارکفوری ،تحفة الأحوذی باب فی الشفقة علی المسلم ج6ص47

[49] النووی ، شرح النووی علی مسلم ج2س567

[50] محمد بن عیسی ، سنن الترمذی باب فی فضل رؤیة الله تعالی ج3ص77

[51] ابن حجر ، فتح الباری ج4ص77

[52] ابن أثیر ، جامع الأصول ج2ص456